المحاضرة رقم 04

الأدب الجزائري في عهد الدولة الإدريسية

1. لمحة تاريخية

سميت دولة الأدارسة بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الذي جاء إلى المغرب الأقصى في أعقاب فشل احدى الحركات المناوئة التي اشترك فيها ضد الدولة العباسية في عهد الخليفة الهادي سنة 169ه/786م. هناك روايات متعددة عن كيفية هروب إدريس بن عبدالله إلى المغرب ولكن الخطوط الرئيسية لهذه الروايات متشابهة، وتختلف فقط في التفاصيل [1].فقد توجه إلى مصر بصحبة أحد مواليه راشد الذي اتصف بالشجاعة ورجاحة العقل. ويقال إن اصل هذا المولى من شمال إفريقيا.

وقد نال إدريس وراشد في مصر مساعدة أحد الأشخاص الموالين للعلويين. وهناك الفت به بعض القبائل ولقد ساعد على هذا أن السكان المحليين كانوا يميلون بطبعهم إلى الاستقلال الذي الفوه منذ القدم . ولهذا فقد استطاع إدريس يصم حوله البربر الذين وجدوا في ثائرا على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية غير المستقرة في المنطقة , فانضوت الحركة الاستقلالية التي كانت ينادي بها هؤلاء تحت لوائه[2].

تأسست الدولة الإدريسية سنة 172 للهجرة وانتهت بالقبض على الحسن الحجام سنة 311 للهجرة، فأعلنت إمارة شيعية مستقلة عن القيروان، وهي أول دولة شيعية في التاريخ الإسلامي، وكان ابنه إدريس الثاني المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التي كانت عاصمتها فاس،

توجه إدريس بن عبد الله نحو تلمسان في المغرب الأوسط. وكانت تسكن في هذه المدينة قبيلتان كبيرتان من زناته،هما مغراوة وبن يفرن, ويبدو أن السيادة كانت للقبيلة الأولى ,التي يتزعمها محمد بن خزر المغراوي الخزري . وقد اعلن هذا الزعيم عن رغبته في الانضمام إلى بيعة إدريس , هو ومن معه من قبائل زناته فدخل إدريس الأول المدينة صلحا وامن أهلها , وبنى مسجدها في شهر صفر 174ه/.

في نهاية حكم إدريس الأول سنة 175 للهجرة وخلفه ابنه إدريس الثاني. كانت مدة قيام الدولة 139 سنة ومملكة الأدارسة واسعة النطاق تشتمل على المغرب الأقصى أجمع وبعض المغرب الأوسط، أي الجزائر. ولكن سهل سقوطها في يد العبيديين اشتمالها على

---

[1] -البكري , ابو عبيد الله ,بن عبد العزيز "في ذكر بلاد افريقية المغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ",نشر :دي سلان, الجزائر ,1857.ص118-119

[2] -حسن احمد محمود,واحمد ابراهيم الشريف "العالم الاسلامي في العصر العباسي",دار الفكر العربي ,القاهرة ,1973,ص704.

ضعفين سياسي وإداري.ذلك أن الأدارسة بقوا تلك المدة في الملك من غير مزاحم ولم يعتنوا بتهذيب البربر تهذيبا يحبب إليهم النظام ويكره إليهم الفوضى.

إن لدولة الأدارسة مكانة بارزة في نشر الإسلام، وازدهار الحضارة المغربية، وإفشاء العدالة وإيجاد الرخاء الاقتصادي، كما أنشئت في عهد الأدارسة جامعة القرويين التي تعتبر أول مؤسسة للتعليم العالي في العالم ولا تزال فعّالة حتى الآن .

يُروى أن الأدارسة لم يتخذوا إجراءات لنشر التشيع بين الشعوب المغربية بسبب عدم توفر الظروف الملائمة، وكانت طريقتهم في الحكم هي الشورى، وكان للشيوخ والكبار دور مهم في قرارات الدولة؛ ولهذا اعتبرت سياسة الأدارسة أقرب نظام إلى النظام السياسي الإسلامي، حظي الأدارسة بقبول شعبي من الأهالي، لكفاءتهم العالية في إدارة الشؤون، ونسبتهم إلى النبيﷺ، وكذلك عدم ممارستهم للقوة في كسب السلطة أو تثبيتها.

2. الإنجازات الحضارية والفكرية للأدارسة

تعد مدينة فاس من اهم المدن التي أنشأها الأدارسة وهي تقع عند ملتقى طرق تجارية رئيسية تؤدي إلى اتجاهات مختلفة وتربطها مع المناطق التي تقع على البحر المتوسط والمشرق العربي وبلدان غرب القارة الإفريقية وقلبها وجنوب الصحراء . ويعود افضل في استحداث هذه المدينة إلى إدريس الثاني الذي عزم على الانتقال من مدينة وليلي بعد أن ضاقت بجيوشه وبمن وفد عليه من العرب والبربر من إفريقية والأندلس ويشير معظم الكتاب والمؤرخين القدامى إلى أن إدريس الثاني هو الذي أسس هذه المدينة، إن أهمية فاس لا تقتصر على المدينة بكل ما تضمه من مساجد وأسواق وقصور وغيرها،بل في رسالة الحضارية التي حملتها والتي تمثل دور الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى.

ويجب الانتباه في هذا المجال إلى أن وجه التجديد والابتكار في عمل إدريس الثاني هو أنه أنشأ عاصمة عربية في بيئة بربرية تماما كما فعل عقبه بن نافع الفهري قبله حينما بنى القيروان في إفريقية بالمغرب الأدنى.

وتشير المصادر إلى قيام إدريس الأول ببناء جامع في مدينة تلمسان حال وقوعها تحت سيطرته سنة 174ه/ 790م. وقد نقش على منبر هذا المسجد الجامع العبارات الآتية : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة. كما أسسوا جوامع أخرى لا تقل أهمية هي جامع القرويين الذي أراده الأدارسة أن يكون صنو جامع القيروان،فقد كان هذا الجامع محور الحياة الفكرية في مدينة فاس. بل في المغرب الأقصى كله. فهو يعد القلب والعصب والروح والبصر لمدينة فاس . لقد كان تقدم اقتصادي وازدهار صناعي ورقى اجتماعي مرتبطاً بالعلم والثقافة. ولم يكن من مركز يمثل ذلك العلم. وتلك الثقافة في فاس إلا جامع القروبين. وأسسوا جامع الأندلس.

3. الحياة الأدبية في عهد الأدارسة

كانت الدولتان الرستمية والإدريسية متعاصرتين، ولكننا لا نعرف عن العلاقة الثقافية بين الدولتين ، فمن المرجح أن يكون من أوائل الذين عقدوا مجالس علمية حافلة في القيروان هو الحافظ الثقة الشاعر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي (ت 296ه/ 908م) الذي ورد على فاس باستدعاء من الأمير أحمد ابن القاسم بن إدريس الذي كان على سابق معرفة به. وتجمعهما رابطة العلم والأدب وقد عرف بمجالسه سواء في بلده. أو بالقيروان أو بغداد. ولم يصلنا من مدائحه، غير مقطوعتين، قال بكر بن حماد مادحا أبا القاسم بن إدريس:

إنّ السّـــماحة والمـــروءة والنّـــدى جُمعـــوا لأحمـــد مـــن بنـــي قاســـم
وإذا تفـــاخرت القبائـــل وانتمـــت وأفخـــر بفضـــل محمـــد وبفـــاطم
وبجعفـــر الطيـــار فـــي درج العـــلا وعلـــي العضـــب الحســـام الصـــارم
وإنّـــي لمشـــتاقٌ إليـــك وإنّمـــا يســـمو العقـــاب إذا ســـما بقـــوادم
فابعـــث إلـــيّ بمركـــب أســـمو بـــه علـــي أكـــون عليـــك أول قـــادم
واعلـــم بأنـــك لـــن تنـــال محبـــة إلا بـــبعض ملابـــس ودراهـــم

لقد عرف عهد الأدارسة معظم أبواب الأدب التقليدية غير أن الشعر السياسي كان طاغيا على الأبواب الأخرى نظراً للصراع القائم بين مختلف الفئات التي كانت موجودة في ذلك العصر. وكان من بين أمراء الأدارسة عدد كبير من الأدباء والشعراء منهم إدريس الثاني " الذي روي عنه قوله للشعر في مناسبات عديدة. مما يدل على قابلية شعرية جيدة وبلاغة متمكنة ومن الأمراء الآخرين الذين عرف عنهم قول الشعر إبراهيم بن القاسم بن إدريس باني قلعة حجر النسر.

وقد طرق الشعراء في عهد الأدارسة مختلف صنوف الشعر كالشكوى. والمدح والوصف. كما اشترك البربر أيضا في الحركة الأدبية بفضل اختلاطهم وامتزاجهم بالأدارسة. ومن شعرائهم الذين اشتهروا في هذا المجال سعيد بن هشام المصمودي. الذي قال قصيدة طويلة بعد إحدى المعارك التي خسرها البربر مع والقصيدة تقليد واضح لمعلقة عمرو بن كلثوم وزنا وقافية بالإضافة إلى تقارب المناسبتين مما يدل دلالة واضحة على مدى تأثر البربر بالحركة الأدبية العربية عامة في المشرق والمغرب